الفَصْلُ الأَوَّلُ

خُطَبٌ سِياسيَّةٌ لخلفاءِ بني أُميَّةَ

(١) خُطَبٌ لِمُعَاوِيَةَ بنِ أبي سُفْيَانَ وَوَلَدِهِ

١ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سفْيَانَ بالنُّخَيْلَةِ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧١٩
وسير أعلام النبلاء ٣: ١٤٦
والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ١٣١

لَمَّا سَلَّمَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الأَمْرَ إلى مُعاويةَ بنِ أبي سفيانَ، وبايعهُ أهْلُ الكوفةِ، صَلَّى معاوية بالنخيلةِ[١] الجُمُعَةَ في الضُّحَى، وخَطَبَ فقال:

«ما قاتَلْتُكُمْ لِتَصُومُوا، ولا لِتُصَلُّوا، ولا لِتَحُجُّوا، ولا لِتُزَكُّوا، قد عَرَفْتُ أنكم تَفْعَلُونَ ذلك، ولكنْ إنَّما قاتلتكم لأتأمَّرَ[٢] عليكم، فقد أعْطاني الله ذلك وأنتم كَارِهُونَ».

٢ـ خطبةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ بالمدينةِ

العقد ٤: ٨١
وأنساب الأشراف ٤: ١: ٣٨
وتاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧٢١
وسير أعلام النبلاء ٣: ١٤٨
والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ١٣٢

لَمَّا قدِمَ معاويةُ المدينة عامَ الجماعةِ تَلَقَّاهُ رِجالُ قريشٍ، فقالوا: الحمدُ للهِ الذي أعَزَّ نَصْرَكَ، وأعْلى كَعْبَكَ[٣]، فما رد عليهم شيئاً حتى صَعِدَ المنبرَ، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قالَ:

---

(١) النخيلة: موضعٌ قربَ الكوفة على سَمْت الشام.

(٢) أمرَ الرجلُ وتأمَّرَ: صار أميراً.

(٣) أعْلَى الله كَعْبَهُ: أي أعْلَى جَدَهُ، ويقال: أعْلَى اللهُ شَرَفَهُ. قال ابن منظور: وفي حديث قَيْلَةَ: «والله لا يزال كَعْبُك عالياً». هو دعاءٌ لها بالشرف والعُلُوّ. (اللسان: كعب). وقال: وفي حديث قَيْلَةَ: «لا يزالُ كَعْبُك عالياً»، أي: لا تزالين شريفةً مرتفعةً على مَنْ يُعاديك. (اللسان: علا). ويقال: ذهبَ كَعْبُ القَوْمِ إذا ذَهَبَ جَدُّهم وشَرَفُهُمْ. (أساس البلاغة: كعب).

«فإني وا للهِ ما وَليتها بمَحبَّةٍ علمتُها منكم، ولا مَسَرَّةٍ بولايتي، ولكنّي جالدتُكم[١] بسيفي هذا مُجالدةً، ولَقد رُضْتُ[٢] لكم نفسي على عملِ ابنِ أبي قُحَافةَ، وأردتُها[٣] على عملِ عُمرَ، فَنَفَرتْ من ذلك نِفاراً شديداً، وأردتُها على مِثْلِ ثَنِيَّاتِ[٤] عثمانَ، فأبتْ عليَّ. فسلكتُ بها طريقاً لي ولكم فيه منفعةٌ، مُؤاكلةٌ حَسنةٌ، ومُشاربةٌ جميلةٌ، فإنْ لم تَجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولايةً[٥]. وا للهِ لا أحملُ السيفَ على مَنْ لا سيفَ له، وإنْ لم يكنْ منكم إلاّ ما يَستَشفي[٦] به القائلُ بلسانِه، فقد جعلتُ له ذلك دَبْرَ أُذني[٧] وتحتَ قدمي[٨]، وإنْ لم تَجدوني أقومُ بحقكم كُلِّه فاقبَلُوا منّي بعضَه، فإنْ أتاكم منّي خيرٌ فاقْبلوهُ، فإن السَّيل إذا زاد عنّى[٩]، وإذا قلَّ أَغْنَى[١٠]؛ وإياكم والفتنةَ، فإنها تُفسد المَعيشةَ، وتكدِّر النِّعمةَ».

٣ ـ خطبةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ بالمدينةِ

العقد: ٤: ٨٢

خَطَبَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيانَ أهْلَ المدينة، فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، وصَلَّى على النَّبيِّ ﷺ ثمَّ قَالَ: أمَّا بَعْدُ،

---

(١) جالَدَهُ بالسَّيف: ضَارَبَهُ.

(٢) رَاضَ نفسَه: وطَّأها وذلَّلها.

(٣) أرادَهُ على الأمر: حمله عليه.

(٤) الثَّنِيَّاتُ: جمع ثَنِيَّة، وهي الطريق العالي في الجبل، أي: على مثل الصَّعب مما ركب عثمان.

(٥) خيرٌ لكم ولايةً: أي: خلافته أكثر فائدةً ومَنْفعةً لهم.

(٦) اسْتَشْفَى: طَلَبَ الشِّفاء، أي: البُرْءَ، والمراد شفاءُ القلوب والنُّفوس لا شفاءُ الأجسام، أي: نَفَّسَ عن نَفْسه، ونَفَثَ غَضَبَهُ، وأطفأ حقْدَهُ.

(٧) جعلتُ الكلامَ دبرَ أذني، وكلامُهُ دَبرَ أذني: أي: خلْفي لم أعْبأ به، وتَصَامَمْتُ عنه، وأغْضَيْتُ عنه، ولم ألتفت إليه.

(٨) من المجاز: اجْعَلْ ذلك تحت قَدَمَيْكَ: أي: اعْفُ عنهُ. وجعل ذلك تحت قدميْه: أهْدَرَهُ، أي: أبْطَلَهُ ونسيَهُ وتركه.

(٩) عَنَّى: أتْعَبَ.

(١٠) أغْنَى: كَفَى.

«أيُّها الناسُ، إنا قَدِمْنا عليكم، وإنما قَدِمْنا على صَدِيق مُسْتَبشِر، أو على عدوٍّ مُستَتِر، وناسٍ بين ذلك يَنْظرونَ ويَنْتظرون، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨]. ولستُ واسعاً كُلَّ النَّاسِ: فإنْ كانت مَحْمَدةٌ فلابدَّ من مَذَمَّةٍ، فلوْماً هُوناً[١] إذا ذُكِرَ غُفِرَ، وإياكم والتي إنْ أُخْفِيتْ أَوْبَقَتْ[٢]. وإنْ ذُكِرَتْ أوْثَقَتْ[٣]».

٤ ـ خُطْبةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ بالمدينةِ

العقد ٤: ٨٢

وأنساب الأشراف ٤: ١: ٢٤

صَعِدَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ مِنْبَرَ المدينةِ، فحمدَ اللهَ وأثْنى عليه، ثمَّ قالَ:

«يا أهلَ المدينة: إنّي لستُ أُحِبُّ أنْ تكونوا خَلْقاً كَخَلْقِ العِراق، يَعيبونَ الشيءَ وهم فيه، كلُّ امرئٍ منهم شِيعةُ نَفْسه، فاقبلونا بما فينا، فإنَّ ما وراءَنا شرٌّ لكم، وإنَّ معروفَ[٤] زمانِنا هذا مُنكَر[٥] زمانٍ مَضى، ومُنْكَرَ زَمانِنا معروفُ زمانٍ لم يأتِ، ولو قد أتى، فالرَّتْقُ[٦] خَيْرٌ من الفَتْقِ[٧]، وفي كلٍّ بلاغٌ، ولا مُقامَ على الرزيَّةِ[٨]».

---

(١) الهُون : الرَّفيق اللَّيِّنُ .

(٢) أوْبَقَهُ : أهْلَكَهُ .

(٣) أوْثَقَهُ : قيَّده وشَدَّه في الوَثاق .

(٤) المعروف : هو كل ما تعرفُهُ النفسُ من الخير ، وتأنس به ، وتطمئن إليه . وقد تكرَّر ذِكْرُ المعروف في الحديث ، وهو اسمٌ جامعٌ لكل ما عُرِفَ من طاعة الله ، والتَّقرب إليه ، والإحسان إلى الناس ، وكل ما نَدَبَ إليه الشرعُ من المُحْسَنات ، ونَهى عنه من المُقَبَّحات . وهو من الصفات الغالبة ، أي : أمْرٌ معروفٌ بينَ الناس إذا رَأَوْهُ لا ينكرونه .

(٥) تكرَّرَ في الحديث الإنكارُ والمنكر ، وهو ضدُّ المَعْرُوف ، وكل ما قبَّحَهُ الشَّرعُ وحرَّمه وكَرِهَهُ فهو منكرٌ .

(٦) الرَّتقُ : إلْحامُ الفَتْق وإصلاحُه .

(٧) الفتق : الشقُّ ، والمراد شَقُّ عَصَا المسلمين بعد اجتماعِ الكلمة من قِبَلِ حَرْبٍ في ثَغْرٍ أو غير ذلك .

(٨) الرَّزِيَّةُ : المصيبة .

٥ ـ خُطْبَةٌ لِمُعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بدِمَشْقَ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦:٧١٧

صَعِدَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيانَ المِنْبَرَ، فَقَالَ:

«أيُّها النَّاسُ، ومَنْ كانَ أحَقَّ بهذا الأَمْرِ[١] مِنّي؟ وهَلْ بَقِيَ أحَدٌ أحقُّ بهذا الأَمْرِ مِنّي»؟!

٦ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بن أبي سُفْيَانَ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦:٧٢٥

وسير أعلام النبلاء ٣:١٥٠

والبداية والنهاية في التاريخ ٨:١٣٤

خطبَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيَانَ، فقال:

«أيُّها النَّاسُ، ما أنا بخَيْرِكم، وإنَّ منكم لَمَنْ هو خَيْر مني، عبدُ الله بنُ عمرَ، وعبدُ اللهِ بنُ عَمْرو، وغيرُهما من الأَفَاضِلِ، ولكنْ عَسَى أنْ أكونَ أنفعكُم وِلاَيَةً[٢]، وأنْكاكم في عَدُوِّكم[٣]، وأدرَكم خِلْفاً[٤]».

٧ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بدمَشْقَ

أنساب الأشراف ٤:١:٩٢

وتاريخ الرسل والملوك ٥:٣٣٤

قالَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيَانَ ذاتَ يَوْمٍ:

«إنَّ الله بَعَثَ رَسُولَهُ بفَضْلٍ بَيِّنٍ، فلمْ يُرِدِ[٥] الدُّنيا ولم تُرِدْهُ، وكانَ بَعْدَهُ أبو بكْرٍ وعُمَرُ، فلم يُريدَاها ولم تُرِدْهُما، ثمَّ كانَ عُثْمَانُ، فنالَ[٦] منها ونَالَتْ منه، ثم آتانا الله

(١) هذا الأمر: يعني الخلافة.

(٢) أنفعكم ولايةً: أي: خلافتي أكثر فائدة لكم.

(٣) نكَى في العَدُوِّ نكايةً: أصابَ منه وأكثرَ فيه الجراحَ.

(٤) أدركم خِلْفاً: الخِلْف: ضَرْعُ الناقة، أي: أكثركم خيراً وعطاءً، يقال: دَرَّت لفلانٍ أخْلافُ الدنيا، ودرت الدنيا على أهْلها: أي: كَثُرَ خَيْرُها.

(٥) أراد الشيء: أحَبَّه وعُنِيَ به، والمراد أعْرَض عنها وزهد فيها.

(٦) نال منها: أصاب.

هذا الأمرَ والمال، فأعْطِنا كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وفَضَلَ [١] مالٌ كثيرٌ عاثَ [٢] فيه أهْلُ مُعاوية، فإنْ يَغْفِرِ اللهُ لهم فأهْلُ ذاك هو، وإن يُعَذِّبْهُم فأهْلُ ذاك هم»!

٨ ـ خُطْبَةٌ لِمُعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بدِمَشْقَ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧٢٧، ٧٢٨

خَطَبَ مُعاويَةُ بنُ أبي سُفْيَانَ في يَوْمِ جُمُعَةٍ، فقالَ:

«إنّما المَالُ مَالُنا، والفَيء [٣] فَيْئُنا، مَنْ شِئْنا أعْطَيْنا، ومَنْ شِئْنا مَنَعْنا»!

٩ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بدِمَشْقَ

تاريخ مدينة دمشق المصور: ١٦:٧٢٨

وسير أعلام النبلاء ٣:١٥٢

خَطَبَ مُعاويةُ أهْلَ دِمَشْقَ، فَقَالَ:

«إنَّ في بَيْتِ مالِكُمْ فَضْلاً [٤] عن عَطائِكم [٥]، وأنا قَاسِمٌ بَيْنَكُمْ ذلك، فإنْ كانَ فيه في قَابلٍ [٦] فَضْلٌ قَسَمْتُهُ عليكم، وإلاّ فلا عَتِيبَةَ [٧] عَلَيَّ، فإنّه ليسَ مالي، وإنّما هو فَيْءُ [٨] اللهِ الذي أفَاءَ عليكم».

---

(١) فَضَلَ : زاد .

(٢) عاث في المال : أسْرَعَ في إنفاقه وبَذَّرَهُ وأفْسَدَهُ .

(٣) الفَيْءُ: مارَدَّ اللهُ تعالى على أهْلِ دِينه من أمْوَالِ مَنْ خالفَ دينهُ بلا قِتال، إمَّا بأنْ يُجْلَوْا عن أوْطانهم ويُحلُّوها للمسلمينَ، أو يُصَالِحوا على جزيةٍ يُؤَدُّونها عن رُؤُوسهم، أو مالٍ غير الجَزية يَفْتَدُونَ به من سَفْكِ دِمَائهم. والمراد ههنا الغَنيمةُ والخَرَاجُ .

(٤) الفضل : الزيادة .

(٥) العطاء : المرتب من الدنانير والدَّراهم .

(٦) القابل : أي : العَامُ المُقْبلُ .

(٧) العَتيبة : المَعْتبة ، أي الملامة .

(٨) الفَيْء : الغَنيمةُ والخَرَاجُ .

١٠ ـ خُطبةٌ لمُعاوية بنِ أبي سُفْيَانَ في مكانِ العَرَب من قُرَيْشٍ

العقد ٣:٣٢٣

قال مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيَانَ يَذْكُرُ مكانَ العَربِ من قُرَيْشٍ:

«ألاَ إن دُرُوعَ هـذا الحيِّ من قُرَيشٍ إخوانُهم من العَرب، المُتَشَابكة أَرْحـامُهم[١] تَشابُك حَلَقِ الدِّرْعِ[٢]، التي إن ذَهَبتْ حَلْقَـةٌ منه فرَّقَتْ بين أربعٍ، ولا تَزَالُ السيوفُ تَكْرهُ مَذاق لُحُوم قُرَيش[٣] ما بَقِيَتْ دُرُوعُها معها، وشَدَّت نُطُقَها[٤] عليها، ولم تَفُكَّ حَلَقها منها، فإذا خَلَعتْها من رِقابها كانت للسُّيوف جَزَراً[٥]».

١١ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ في وُفُودِ العَرَبِ

العقد ٣:٣٢٣

قَدِمَتْ وُفُودُ العَرَبِ على مُعَاويةَ بنِ أبي سفيانَ، فَقَضَى حَوائجَهم، وأحسن جَوائزَهم، فلما دَخَلُوا عليه لِيَشكُروهُ سبَقَهم إلى الشكرِ، فقال لهم:

«جزاكمُ اللهُ يا مَعْشرَ العَربِ عن قُرَيش أفضلَ الجَزاءِ بتَقَدُّمِكم إياهم في الحَرْبِ، وتَقْدِيمكم لهم في السِّلْمِ، وحَقْنِكم دِماءَهم[٦] بسَفْكِهَا[٧] منكم، أمَا والله لا يُؤثرُكم[٨] على غيركم منهم إلا حازمٌ كريمٌ، ولا يرْغَب[٩] عنكم منهم إلا عاجزٌ لئيمٌ، شجرةٌ قامتْ

---

(١) الأرْحام: جمع رَحِم: وهي علاقة القرابة وسَبَبها.

(٢) الحَلَقُ: جمع حَلْقة، وهي زَرَدَةُ الدِّرع.

(٣) كَرِهَ السَّيْفُ مَذاقَ لُحُومهم: وَجَدَهُ مُرّاً لا يُسْتَساغُ طَعْمُهُ. والمعنى أنَّ السيفَ لا يصلُ إليهم ولا يَنَالُ منهم: لِقُوَّتهم وشِدَّتهم وعِزَّتهم ومَنَعتهم.

(٤) النُّطُق: جمع نِطاق، وهو: كل ما شَددت به وَسْطَك. أي: تَقَوَّيتَ به.

(٥) الجَزَرُ: جمع جَزَرَة، وهي: الشَّاةُ التي تُعْطى للذَّبح.

(٦) حَقَنَ دَمَه: مَنَعَهُ أنْ يُسْفَك، أو حَلَّ به القَتْلُ فأنقذَهُ.

(٧) سَفَكَ دَمَهُ: أراقَهُ وأجْراه، أي: قَتَلَهُ.

(٨) آثره على غيره: فَضَّله عليه وقدَّمه.

(٩) رغب عنه: تَرَكَهُ مُتَعمِّداً وزَهَد فيه ولم يُرِدْهُ.

على ساق، فتفرَّعَ أعلاها واجتمعَ أصلُها، عضَّدَ اللهُ[١] من عَضَّدَها، فيالها كلمةً لو اجتمعت، وأيدياً لو ائتلفت، ولكن كيف بإصلاح ما يُرِيد الله إفسادَه.

١٢ ـ خُطْبَةٌ لمعاويةَ بنِ أبي سُفْيَانَ بمكَّةَ

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦:٧٤٩

والبيان والتبيين ٣:٢٦٤

وأنساب الأشراف ٤:١:٢٢

وسير أعلام النبلاء ٣:١٥٦

حَجَّ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيَانَ عاماً، حَتَّى إذا كانَ بالأبْوَاءِ[٢] اطَّلَعَ[٣] في بِئْرٍ عاديَّةٍ[٤]، فَضَرَبَتْهُ اللَّقْوَةُ[٥]، فَمَضى حتى أتى مكَّةَ، فَدَخَلَ دارَهُ، وأرْخَى حِجَابَهُ، ودَعَا بعمامةٍ سَوْدَاءَ، فاعْتَمَّ بها على شِقِّهِ الذي لم يُصَبْ، ثمَّ أَذِنَ للنَّاسِ، فلمَّا أَخَذُوا مَجالِسهم حَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، وصَلَّى على محمدٍ ﷺ، ثم قال:

«أيُّها النَّاسُ، إنَّ ابن آدَمَ بعَرَضِ[٦] بلاءٍ[٧]: إمَّا مُبْتَلًى لِيُؤْجَرَ، وإمَّا مُعَاقَبٌ بَذَنْبٍ، وإمَّا مُسْتَعْتَبٌ[٨] لِيُعتِبَ[٩]، وما أعْتذرُ من واحدةٍ من ثلاثٍ، فإن ابْتُلِيتُ فقد ابْتُلِيَ الصَّالحونَ قَبْلي، وإني لأرْجُو أنْ أكونَ منهم، وإنْ عُوقِبْتُ فقد عُوقِبَ الخاطئونَ قَبْلي، وما آمَنُ أنْ أكُونَ منهم، وإنْ مَرِضَ عُضْوٌ مني فما أُحْصي صَحِيحي، ولو كانَ الأمْرُ إلى نَفْسي ما كانَ لي على رَبي أكثرُ مما

(١) عَضَّدَهُ اللهُ: قَوَّاه.

(٢) الأبواء: قريةٌ من أعمال الفُرْعِ من المدينة بينَها وبين الجُحفَة مما يلي المدينة ثلاثةٌ وعشرون ميلاً.

(٣) اطَّلَع: نظر.

(٤) عاديَّةٌ: قديمة كأنَّها نُسِبَتْ إلى عاد، وهم قومُ هود، وكل قديمٍ يَنْسِبُونَهُ إلى عاد، وإنْ لم يُدْرِكهم.

(٥) اللَّقْوَةُ: داءٌ يكون في الوَجْه يَعْوَجُّ منه الشِّدْقُ، أي: اللُّقوة.

(٦) العرض: الأمر يَعْرِضُ للرَّجُلِ يُبْتَلَى به، أو ما يعرضُ للإنسان من الهموم والأشغال.

(٧) البلاء: الاختبار والامتحان.

(٨) المُسْتَعْتَبُ: المُسيءُ الذي طُلِبَ منه الرُّجوع عن الإساءة.

(٩) أعْتَبَهُ: أعْطَاهُ العُتبَى، وهي: الرضا، ورجعَ إلى مَسَرَّته، أو تَرْكُ ما كان يجدُ عليه من أجْله ورجع إلى ما أرْضاه عنه بعد إسْخَاطه إيَّاه عليه.

أعْطاني، فأنا ابنُ بِضْعٍ وسَبْعينَ[١]، فَرَحِمَ اللهُ عبداً دَعَا لي بالعافيةِ، فـوَاللهِ لئـنْ عَتَبَ عليَّ بعضُ خاصَّتكم لقد كنتُ حَدِباً[٢] على عَامَّتكم».

١٣ـ خُطْبَةٌ لمعاوية بنِ أبي سُفْيَان

تاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧٥٠

وسير أعلام النبلاء ٣: ١٥٧

خَطَبَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفْيَانَ بالصِّنَّبْرَةِ من الأُرْدنِّ، فقال:

«لقدْ شَهِدَ معي صِفِّينَ ثَلاثُمائـةٍ مـن أصْحَـابِ رَسُـولِ اللهِ ﷺ ، مـا بَقِـي مَنهـم أحَـدٌ غَيْري، وإنَّما ذلكَ فَنَاءُ قَرْني[٣]، وإنَّ فَنَاءَ الرَّجُلِ فَنَاءُ قَرْنِهِ».

١٤ – آخرُ خُطْبَةٍ لِمُعاويةَ بن أبي سُفْيَان

أنساب الأشراف ٤: ١: ٣٤

والكامل للمبرد ٤: ١١١

وتاريخ مدينة دمشق المصور ١٦: ٧٥٠

والبداية والنهاية في التاريخ ٨: ١٤١

خَطَبَ مُعاويةُ النَّاسَ آخرَ مَرَّةٍ، فقالَ:

«إنِّي كزَرْعٍ مُسْتَحصَدٍ[٤]، وقـد طـالت إمرتي عليكـم، حتـى مَلَلتُكـم وَمَلَلتمونـي، وتمنَّيتُ فراقَكم وتمنَّيتم فراقي، ولن يأتِيَكُمْ بعدي إلاَّ مَنْ أنا خيرٌ منه كما أنَّ من كان قبلي كان خيراً منِّي، وقد قيل: من أحبَّ لِقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه؛ اللَّهـمَّ إنِّـي أحببـتُ لِقـاءَكَ فأَحِبَّ لقائي، وبارِكْ لي فيه».

---

(١) في الأصل : (وستين) . وهو خَطَأ صوابه في أنساب الأشراف ٤ :١ :٢٢ . وقد أصابت معاويَة اللَّقْوَةُ بأخرة من عمره ، وتوفي عن سبع وسبعين سنةً ، أو أكثر من ذلك . (انظر تاريخ مدينة دمشـق المصوَّر ١٦ :٧٦١ ، وسـير أعـلام النبـلاء ٣ :١٦٢ ، والبداية والنهاية في التاريخ ٨ :١٤٢) .

(٢) الحدِبُ : المتعَطِّفُ المشْفقُ الحاني .

(٣) هو قَرْنُهُ في السِّنِّ بالفتح : أي : مِثْلُهُ في السِّنِّ . وهو قِرْنُهُ في الحَرْبِ بالكسر : أي : مِثْلُهُ في الشجاعة والشِّدَّة .

(٤) أحْصَدَ الزَّرْعُ واستَحْصَدَ : حَانَ لهُ أنْ يُحْصَدَ .

١٥ـ خُطْبَةُ يزيدَ بنِ مُعَاوِيةَ بَعْدَ مَوْتِ أبيهِ

العقد ٤: ٨٩،٣٧٥
وعيون الأخبار ٢:٢٣٨
وأنساب الأشراف ٤:١:١٣٣
ومروج الذهب ٣:٧٥
وتاريخ مدينة دمشق المصور ١٦:٧٥٧
والبداية والنهاية في التاريخ ٨:١٤٣

كانَ يزيدُ بنُ معاويةَ حينَ ماتَ أبوهُ بحُوَّارينَ، فقدم وقد دُفِنَ أبوهُ عندَ البابِ الصَّغيرِ بدمشَق، فأتى قَبْرَهُ فَدَعَا له، ثمَّ انصرفَ فخطبَ، فقال:

«الحمدُ للهِ الذي ما شاءَ صَنعَ، ومَنْ شاءَ أعْطَى ومَنْ شاءَ مَنَعَ، ومَنْ شاءَ خَفَضَ ومن شاء رَفعَ. إنَّ أميرَ المؤمنينَ كان حَبْلاً من حِبالِ الله، مدَّهُ ما شاءَ أنْ يَمدَّهُ، ثم قَطعه حين أراد أن يَقْطَعَهُ، وكانَ دونَ مَن قبلهُ، وخيراً ممن يأتي بعدَهُ، ولا أُزَكِّيه[١] عند ربِّهِ، وقد صارَ إليه، فإنْ يَعْفُ عنه فبرَحْمَته، وإنْ يُعاقبه فبذَنبهِ. وقد وُلِّيتُ بعدَه الأمرَ، ولستُ أعتذر من جَهل[٢]، ولا أنيَ عن طَلَبِ علمٍ[٣]. وعلى رِسْلكم[٤]، إذا كَرِهَ الله شيئاً غيَّرَه، وإذا أحبَّ شيئاً يسَّره.

وقالَ لهم في هذه الخُطْبةِ:

البداية والنهاية في التاريخ ٨:١٤٣

«وإنَّ معاوية كان يُغْزيكم في البَحْرِ، وإني لستُ حاملاً أحداً من المسلمينَ في البَحْر، وإنَّ معاويَة كان يُشْتيكم[٥] بأرْضِ الرُّوم، ولستُ مُشْتياً أحداً بأرضِ الرُّومِ، وإنَّ معاويةَ كان يُخْرِجُ لكم العطاءَ[٦] أثلاثاً وأنا أجْمَعُهُ لكم كلِّه».

---

(١) زكَّاه: مدحه وأثنى عليه.
(٢) لست أعتذر من جهل: أي: لا أحتجُّ له ولا أُدافع عنه.
(٣) لا أني عن طلب علْم: أي: لا أُقصِّر في طلبه ولا أفترُ فيه.
(٤) على رسْلكم: اتَّئدوا ولا تعجلُوا.
(٥) كان يُشْتيكم بأرْض الرُّوم: أي: كان يَجْعَلكم تَصلُونَ الشِّتَاءَ بالصَّيف في غَزْوِ الروم، ولا يأذن لكم في القُفُول إلى أهليكم.
قال الزمخشريُّ: (قيل لغَزوة الرُّوم الصائفة: لأنَّهم كانوا يَغْزُونهم صَيفاً). (أساس البلاغة: صيف).
وقال ابن منظور: (سُمِّيت غزوةُ الروم الصائفة: لأن سُنَّتهم أن يغزوا صيفاً، ويُقْفَل عنهم قبل الشتاء، لمكان البَرْد والثلج). (اللسان: صيف).
(٦) العطاء: المُرتَّبُ من الدَّنانير والدَّراهم.

١٦ـ خُطْبَةُ مُعاويةَ بنِ يزيدَ بعدَ مَوْتِ أبيهِ:

تاريخ اليعقوبي ٢:٢٥٤
وطبقات ابن سعد ٥:٣٩
وأنساب الأشراف ٤:٢:٦٢
وتاريخ الرسل والملوك ٥:٥٣٠
ومروج الذهب ٣:٨٢
والإمامة والسياسة ٢:١٣
والكامل في التاريخ ٤:١٣٠
والبداية والنهاية في التاريخ ٨:٢٣٨
والنجوم الزاهرة ١:١٦٤

خَطَبَ معاويةُ بنُ يزيدَ النَّاسَ بعدَ مَوْتِ أبيه، فقالَ:

«أمَّا بعدَ حَمْدِ اللهِ والثناء عليه أيها الناس: فإنَّا بُلينَا بكم، وبُلِيتُمْ بنا، فما نَجْهَلُ كَرَاهَتَكُمْ لنا، وطعنكم علينا. ألاَ وإنَّ جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمرَ مَنْ كان أوْلَى به منه في القرابة برسول الله، وأحَقَّ في الإسلام، سابق المسلمين، وأولَ المؤمنين، وابنَ عمِّ رسول ربِّ العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين. فركبَ[1] منكم ما تَعْلَمُونَ، وركبتُمْ منه ما لا تُنْكِرُون، حتى أتَتْهُ مَنِيَّتُهُ، وصار رَهْناً بعَمَلِهِ. ثم قُلِّدَ أبي، وكان غَيْرَ خليقٍ للخير، فركبَ[2] هَواهُ، واستَحْسَنَ خَطَأَهُ، وعَظُمَ رجاؤه، فأخلفَهُ الأملُ، وقَصَّرَ عنه الأجلُ، فقُلِّتْ مَنَعَتُهُ، وانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ، وصارَ في حُفْرَتِهِ رَهْناً بذَنْبِهِ، وأسيراً بجُرْمِهِ. ثم بكى، وقال: إن أعظَمَ الأمور علينا عِلْمُنا بسوء مَصْرَعِه، وقُبْحِ مُنْقَلَبِه، وقد قتلَ عِتْرَةَ الرسول[3]، وأباحَ الحُرْمَةَ، وحَرَّقَ الكعبة. وما أنا المُتَقَلِّدَ أُمورَكم، ولا المحتملَ تَبِعاتِكم[4]، فشأنَكمْ أمْرَكمْ، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نِلْنا منها حظاً، وإنْ تكن شراً فحسبُ آل أبي سفيان ما أصابُوا منها».

(١) ركبَ فلانٌ فلاناً بأمرٍ وارتكبهُ : علاهُ ، أي : قَهَرَهُ وتسلَّط عليه .
(٢) ركب هَواهُ مثل ركبَ رأسَهُ : أي : مَضَى على وَجْهِه بغير رَوِيَّة لا يُطيعُ مُرْشداً .
(٣) عِتْرة الرسول ﷺ : وَلَدُ فاطمةَ البَتول رَضي الله عنها .
(٤) التَّبِعَة والتِّباعة : ما اتبعْتَ به صاحبكَ من ظلامة ونحوها ، أي : طالَبْتَهُ بـه . والتَّبِعة والتِّباعة ما فيه إثم يتَّبع به ، يقال : ما عليه من الله في هذا تبعة ولا تباعة .

(٢) خُطَبٌ لِعَبْدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ وبَنيهِ

١ـ خطبةٌ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بعدَ مَوْتِ أبيه

أنساب الأشراف ٧: ٢٠٦

والعقد ٤: ٩٠

لمَّا مات مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ صلَّى عليه ابنُهُ عبدُ الملك، ثم صَعِد المِنبَر فقال:

«إنّي وا للهِ ما أنا بالخليفةِ المُصَانع[١]، ولا الخليفةِ المُسْتَضْعَف[٢]، ولا الخليفةِ المَطْعُون عليه[٣]، إنكم تَأمرونا بتَقْوى ا لله، وتَنْسَوْنَ ذلك من أنْفُسِكُم، وا للهِ لا يأمُرني أحدٌ بعدَ يَوْمي هذا بتَقْوى ا للهِ عَزَّ وَجَلَّ إلاَّ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ».

٢ـ خُطْبَةٌ لعبد المَلِكِ بنِ مَرْوانَ بعدَ مَقْتَلِ التَّوابينَ بعَيْن الوَرْدَةِ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٥٦٨

والكامل في التاريخ ٤: ١٨٦

لمَّا بلَغ عَبدَ الملكِ بنَ مَرْوَانَ قَتْلُ سُلَيْمانَ بن صُرَد الخُزَاعيِّ وأصْحابه من التَّوابينَ صَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ ا للهَ وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بَعْدُ،

«فإنّ ا للهَ قد أهلكَ من رُؤُوس أهلِ العِراق مُلْقِحَ فِتْنَةٍ، ورأسَ ضَلالةٍ، سليمانَ بنَ صُرَد، ألاَ وإنَّ السُّيوفَ تركت رأسَ المُسَيَّبِ بنَ نَجْبَةَ خَذَاريف[٤]، ألاَ وقد قَتَلَ ا للهُ من رؤوسهم رأسَيْن عظيمين ضَالَّين مُضِلَّيْن : عبدَ ا للهِ بنَ سَعْدٍ أخا الأزدِ، وعبدَ ا للهِ بنَ والٍ أخا بكرِ بنِ وائلٍ، فلم يَبقَ بعدَ هؤلاء أحدٌ عندَه دِفَاعٌ ولا امْتِناعٌ» .

---

(١) يعني: مُعاويةَ بن أبي سفيان.

(٢) يعني: عثمانَ بن عَفَّانَ.

(٣) يعني: يزيدَ بن مُعاوية.

(٤) الخذاريف: جمع خُذْرُوف، وهو شيءٌ يُدَوِّرُهُ الصَّبيُّ بخيطٍ في يده فَيَسْمَعُ له دَوِيٌّ.

٣ــ خُطْبَةٌ لعبدِ الـمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بعدَ مَقْتَلِ عَمْرِو بنِ سَعيد الأشْدَقِ بِدِمَشْقَ

الأخبار الموفقيات ص:٥٦١

وصبح الأعشى ١:٢١٨

لَمَّا قتلَ عبدُ الملك بن مروان عمرَو بن سعيد بن العاص، أَذِنَ للناس إذْناً عاماً، فدخلوا عليه، وجُثَّةُ عمرو في ناحية البيت ، فلما أخذوا مجالسهم تَكَلَّمَ عبدُ الملك فقال:

«ارْمُوا بأبصارِكم نحوَ مَصارع أهل المَعْصية ، واجعلوا سَلَفَهُمْ لمن غَبَرَ[١] منكم عظَةً، ولا تكونوا أغْفَالاً من حُسْن الاعتبار، فَتَنْزِلَ بكم جَائحةُ[٢] السَّطْوَة، وتَجُوسَ خلالَكُمْ بوادرُ النِّقْمَة، وتَطَأَ رقابكم بثقلها المَعْصية، فتجعلكُمْ هُمَّداً[٣] رفاتاً[٤]، وتَشْتَملَ عليكم بُطونُ الأرض أمواتاً. إيايَ من قَوْلِ قائلٍ، وسَفَه جاهلٍ، فإنما بيني وبينكم أنْ أَسْمَعَ النُّعْرَةَ[٥] فأُصَمِّمَ[٦] تَصْميمَ الحُسام المَطرور[٧]، وأصُولَ صيالَ الحَنِق المَوْتور، إنما هي المُصافَحةُ[٨] والمُكافَحةُ[٩] بظُبات السُّيوفَ، وأسنَّة الرِّماح، والمعاوَدةُ لكم بسُوء الصَّباح[١٠]، فَتابَ تائب أو هلك خائب، والتَّوْبُ مَقْبولٌ، والإحسَانُ مَبْذُول لمن أبْصرَ حَظَّه وعَرَفَ رُشْدَه. فانْظُرُوا لأنفسكم، وأَقْبِلُوا على حُظوظكم، وليكنْ أهْلُ الطاعة منكم يداً على ذي الجَهْل من سُفَهائكم، واستَديمُوا النِّعْمَةَ التي ابتدأتكم برَغَد عَيْشها، ونَفيس زينَتها، فإنكم من ذلك بينَ فضيلَتَيْن: عَاجل الخَفْض والدَّعَة، وآجل الجَزاء والمثوبة. عَصَمَكُمُ اللهُ من الشيطان وفتْنه ونَزْغه[١١]، وأيَّدكم بحُسْن مَعُونَته وحفْظه. انْهَضُوا رحمَكم الله لقَبْض أعطياتكم غَيْرَ مَقْطوعة ولا مُكَدَّرَة عليكم إن شاءَ الله. قَالَ: فخَرَجَ القومُ من عنده بداراً[١٢] كلهم يَخافُ أنْ تكونَ السَّطْوَةُ به»!

---

(١) غبر: بقي.

(٢) الجائحة: الشدة.

(٣) الهُمَّد: جمع هامد، وهو الساكن البالي.

(٤) الرفات: الدقاق والحُطَام.

(٥) النَّعْرَة : صوت في الخيشوم. ويقال نَعَرَ: أي: صاح وصوّتَ بخَيْشُومه.

(٦) صَمَّم الحسام: قطع حتى بلغ العظم.

(٧) المطرور: المشحوذ المسنون.

(٨) المُصافحة: المُواجَهةُ: من المُصافحة عندَ اللقاء، وهي مُفاعلةٌ من إلصاق صُفْح الكفّ بالكفّ، وإقبالُ الوَجْه على الوَجْه.

(٩) المكافحةُ في الحرب: المُضارَبةُ تلقاءَ الوُجوه، يقال: كافحوهم إذا استقبلوهم في الحَرْب بوُجوهم دون تُرْس أو غَيْره.

(١٠) بسُوء الصَّباح: أي بالغارة، لأنهم أكثرُ ما يُغيرونَ عندَ الصَّباح، ويُسمَّونَ يومَ الغارة يومَ الصَّباح.

(١١) نزغ الشيطان: وساوسُه في القلب بما يُسوّل للإنسان من المعاصي، التي تُفْسِدُه على أصحابه.

(١٢) بادر الشيء مبادرة وبدارا: أي أسرع إليه.

٤ـ خطبةٌ لعبد الـمَلِكِ بنِ مَرْوانَ بَعْدَ مَقْتَلِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْر بالكُوفَةِ

أمالي القالي ١:١١

وأنساب الأشراف ٥:٣٥٢

واللسان: حوح

والبداية والنهاية في التاريخ ٨:٣١٦

لـمَّا قَتَل عبد الملكِ بنُ مَرْوَانَ مُصْعَبَ بنَ الزُّبَيْرِ دخلَ الكوفةَ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فحمدَ الله وأثْنى عليه، وصَلَّى على النبيِّ محمدٍ ﷺ، ثم قال:

«أيُّها النَّاسُ، إنَّ الحَرْبَ صَعْبةٌ مُرَّةٌ، وإنَّ السِّلْمَ أمْنٌ ومَسَرَّةٌ، وقد زَبَنَتْنا[1] الحربُ وزَبَنَّاها، فنحن بَنُوها وهي أُمُّنا. أيُّها النَّاسُ، فاسْتَقِيمُوا على سُبُلِ الهُدَى، ودَعُوا الأهْوَاءَ المُرْدِيةَ، وتَجَنَّبُوا فِراقَ جماعاتِ المُسْلِمينَ، ولا تُكَلِّفونَا أعْمالَ المُهَاجِرينَ الأوَّلِينَ، وأنتم لاتَعْمَلُونَ أعْمَالَهم، ولا أظُنكم تَزْدَادُونَ بعدَ المَوْعِظةِ إلاَّ شَرًّا، ولن نَزْدَادَ بعدَ الإعْذارِ إليكم والحُجَّةِ عليكم إلاَّ عُقُوبةً، فمَن شاءَ منكم أنْ يَعُودَ لِمِثْلِها فَلْيَعُدْ، فإنَّمَا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كما قالَ أبو قَيْس[2] بن رِفَاعَةَ:

مَنْ يَصْلَ نَاري بلا ذَنْبٍ ولا تِرَةٍ ... يَصْلَ بنَار كَريم غَيْرِ غَدَّار

أنَا النَّذِيرُ لكُمْ منِّي مُجَاهَرَةً ... كي لا أُلامَ على نَهْيٍ وإنْذَار

فإنْ عَصَيْتُمْ مَقالِي اليومَ فاعْتَرِفُوا ... أنْ سَوْفَ تَلقَوْنَ خِزياً ظاهِرَ العار

لَتَرْجِعُنَّ أَحَادِيثاً مُلَعَّنَةً ... لَهْوَ المُقِيم ولَهْوَ المُدْلِجِ السَّاري

مَنْ كَانَ في نَفْسِهِ حَوْجَاءُ يَطْلُبُها ... عِنْدِي فإني له رَهْنٌ بإصْحَار[3]

أُقِيمُ عَوْجَتَهُ إنْ كانَ ذا عِوَجٍ ... كما يُقَوِّمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ البَارِي

وصَاحِبُ الوِتْرِ ليسَ الدَّهْرَ مُدْرِكَهُ ... عِنْدِي وإنِّي لَدَرَّاكٌ بأوْتَار».

---

(١) زَبَنَتْنا الحربُ: صَدَمَتْنا. وحربٌ زَبُونٌ: تَزْبِنُ الناسَ، أي: تَصْدُمهم وتَدْفَعُهم على التشبيه بالنَّاقة الزَّبُون، وهي التي تَزْبِن وَلَدها عن ضِرْعها، وتَزْبِنُ حالِبَها، أي: تَدْفَعُهُ برِجْلِها.

(٢) في الأصل: (قيس). والصَّوابُ أبو قَيْس. (انظر طبقات فحول الشعراء ١:٢٨٨، وسمط اللآلي ١:٥٦، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص:٢٢، وشرح شواهد المغني ٢:٧١٦).

(٣) الإصْحَار: البُرُوزُ إلى الصحراء، يريد: لا أَسْتَتِرُ عنه ولا أمتنع منه في الأماكن الحصينة.

٥ـ خُطْبَةٌ لعبدِ المَلِكِ بن مَرْوانَ في أهْلِ مَكَّةَ

أنساب الأشراف ٧: ٢١٢، ٢١٣
وتاريخ خليفة بن خياط ١: ٣٤٨
وكتاب الأوائل ص: ٢٠٢
والكامل في التاريخ ٤: ٣٩١
وفوات الوفيات ٢: ٤٠٣
والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٦٤
وتاريخ الخلفاء ص:٢١٨

قَدِمَ عبدُ الملكِ حاجاً في سنة خمسٍ وسبعينَ، فَصَعِدَ المنبَر، فحمدَ الله وأثْنى عليه، ثم قال: أمَّا بعدَ ذلكم أيُّها النَّاس،

«فلستُ بالخليفةِ المُسْتَضْعَف[١]، ولا بالخليفةِ[٢] المُدَاهِن[٣]، ولا بالخليفةِ[٤] المأفون[٥]. ألا وإنَّ من قبلي مِنَ الوُلاةِ كانوا يَأْكُلونَ ويُؤكَلُونَ، وإنّي وا لله لا أداويكم إلاَّ بالسَّيْفِ، فَمَنْ أحبَّ أنْ يُبْدِيَ صَفْحَتَهُ[٦] فَلْيَفْعَلْ، فَلا تكَلِّفُونا أعمالَ المُهاجرينَ، ولَسْتُمْ تَعْمَلُونَ أعْمالَهُم، فوا لله مازلْتُمْ تَزْدَادُونَ اسْتِجْرَاحاً[٧]، ونزدادُ لكم عقوبةً، حتى الْتَقَيْنَا نحنُ وأنتم عندَ السُّيوفِ، هذا عمرُو بنُ سعيد قال برأسِه كذا، فَقُلْنَا بسَيْفِنا كذا. ألا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغَائبَ، أنَّه ليستْ من لَغْبَةٍ[٨] إلا ونحن نَحْتَمِلُها، مالَمْ تَبْلُغْ أنْ تَكُونَ صُعودَ مِنْبَر أو نَصْبَ رايةٍ. ألا وإنَّ جامعةَ[٩]

---

(١) يعني: عثمان بن عفان.

(٢) يعني: معاوية بن أبي سفيان.

(٣) المداهن: المصانع المداري المُحامِلُ.

(٤) يعني: يزيد بن معاوية.

(٥) المأفون: ضعيف العقل والرأي.

(٦) أبْدَى له صَفْحَتَهُ: كاشفه وأظْهَرَ له فِعْلَهُ الذي كان يُخفيه.

(٧) قال الزمخشري: (اسْتَجْرَح فلانٌ: اسْتَحَقّ أنْ يُجرحَ. وعن عبد الملك بن مروان: وَعَظْتُكم فلم تَزْدَادوا على المَوْعِظة إلاَّ استجْراحاً) . (أساس البلاغة: جرح) . وقال ابن منظور : (يقال: جَرَح الحاكم الشاهد إذا عَثَر منه على ما تَسْقُط به عَدالته من كذبٍ وغيره. وقد قيل ذلك في غير الحاكم ، فقيل : جَرَحَ الرجلَ: عَضَّ شهادته، وقد اسْتَجْرَحَ الشاهدُ. والاستجراح: النقصان والعيبُ والفساد، وهو منه، حكاه أبو عبيدة، قال: وفي خطبة عبد الملك : وَعَظْتكم فلم تزدادوا على الموعظة إلاّ اسْتِجراحاً ، أي: فساداً، وقيل: معناه إلاّ ما يُكْسِبكم الجرحَ والطعن عليكم ». (اللسان: جرح).

(٨) لَغَبَ على القوم: أفْسَدَ عليهم، وكلام لَغْبٌ:فاسدٌ لا صائبٌ ولا قاصدٌ.

(٩) الجامعة: الغُلُّ والقَيْدُ.

عمرو بن سعيدٍ التي جَعلْناها في عُنُقِه عندَنا، وإنّي أُعْطي ا لله عهداً أنْ لا أجْعَلهَا في عُنُقِ أحدٍ فأُخْرِجَها منه إلاّ صَعَداً[1]. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ ا لله لي ولكم»!

٦ـ خُطْبَةٌ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ في أهْلِ المَدِينةِ

تاريخ اليعقوبي ٢:٢٧٣

وتاريخ الرسل والملوك: ٦: ٤٢٢

خَطَبَ عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ بالمدينة في أربعةِ أيّامٍ في كلِّ يومٍ خُطْبَةً، وكان فيما خَطَبَ به في بعضِ أيّامِهِ أنْ قال:

« لقد قُمْتُ في هذا الأمْرِ، وما أذري أحداً أقْوَى عليه مني، ولا أوْلَى به، ولو وجدتُ ذلك لَوَلّيْتُهُ. إنَّ ابنَ الزبير لم يَصْلُحْ أن يكون سَائساً، وكان يُعْطي مالَ ا لله كأنه يُعْطي ميراث أبيه. وإنَّ عمرَو بنَ سعيدٍ أرَادَ الفتنة، وأنْ يَسْتَحِلَّ الحُرْمَةَ، ويُذْهِبَ الدِّينَ، وما أرادَ صَلاحاً للمسلمين، فَصَرَعَهُ ا لله مَصْرَعَهُ. وإني مُحْتَمِلٌ لكم كلَّ أمْرٍ إلاّ نَصْبَ رايةٍ، وإنَّ الجَامِعَةَ التي وَضَعْتُها في عُنُقِ عمرو عندي، وإني أقسمُ با لله لا أَضَعُها في عُنُقِ أحدٍ فأنْزِعُها منه إلاّ صَعَداً»!

٧ـ خُطْبَةٌ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ في أهْلِ المَدِينةِ

مروج الذهب ٣:١٢٧

والأخبار الموفقيات ص:٥٧٣

وأنساب الأشراف ٧:٢١٤

واللسان: سمع

حَجَّ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ في بعضِ أعوامِهِ، فأَمَرَ للنّاسِ بالعطاءِ، فخرجَتْ بَدْرَةٌ[2] مكتوبٌ عليها من الصَّدَقةِ[3]، فأبى أهْلُ المَدينةِ قَبُولها، وقالوا: إنّما كان عطاؤُنا من الفَيْءِ[4]، فقال عبدُ الملكِ وهو على المِنْبَرِ:

---

(١) الصعد: الصَّعْب الشّاق.

(٢) البَدْرة: كيسٌ فيه ألفٌ أو عشرةُ آلافٍ.

(٣) الصدقة: الحقوق التي تؤخذ من الإبل والغنم، وهي من أموال الزكاة.

(٤) الفَيْءُ: ما رَدَّ ا لله تعالى على أهْلِ دينه مِنْ أمْوالِ مَنْ خالف دينَهُ بلا قتال، إمّا بأن يجلوا عن أوْطانِهم، ويُخَلُّوها للمسلمين، أو يُصَالِحُوا على جزيةٍ يُؤدونها عن رؤوسهم، أو مال غير الجزية يفْتَدُونَ به من سَفْكِ دمائهم. والمراد الغنيمة والخراج.

«يامعشرَ قريش، مَثَلُنا وَمَثَلُكم أنَّ أخوَين في الجاهلية خَرَجَا مُسافِرَيْن، فَنَزَلا في ظلِّ شجرةٍ تحتَ صَفاةٍ [١]، فلما دَنا الرَّواحُ خرجَتْ إليهما من تحتِ الصَّفاة حَيَّةٌ تَحْمِلُ ديناراً، فألقَتْهُ إليهما، فقالا: إنَّ هذا لَمِنْ كَنْزٍ. فأقاما عليها ثلاثةَ أيامٍ كلَّ يومٍ تُخْرِجُ إليهما ديناراً، فقالَ أحدُهما لصاحبِه: إلى مَتَى نَنْتَظِرُ هذه الحيَّةَ؟ ألا نَقْتُلها ونَحْفِرُ هذا الكَنْزَ فنأخذه؟ فَنهاهُ أخوهُ، وقال له: ما تَدْري لعلَّكَ تَعْطَبُ ولا تُدْرِكُ المالَ. فأبى عليه، وأخذَ فأساً معه ورَصَدَ الحيَّةَ حتى خَرَجَتْ، فَضَرَبَها ضربةً جَرَحَتْ رأسَها ولم تَقْتُلْها، فثارتِ الحيَّةُ فَقَتَلَتْهُ، ورَجَعَتْ إلى جُحرها. فقام أخوهُ فَدَفَنَهُ، وأقامَ حتى إذا كانَ منَ الغَدِ خَرَجَتِ الحيَّةُ مَعْصُوباً رأسها ليسَ معها شيءٌ، فقالَ لها: ياهذه، إنّي وا للهِ مارضيتُ ما أصابَك، ولقد نَهيْتُ أخي عن ذلكَ، فهل لكِ أنْ نَجْعَلَ اللهَ بيننَا أن لا تَضُرِّيني ولا أَضُرُّكِ، وتَرجعينَ إلى ما كنتِ عليه؟ قالت الحيَّةُ: لا . قال: ولِمَ ذلك؟ قالت: إنّي لأَعلَمُ أنَّ نَفْسَكَ لا تَطيبُ لي أبداً، وأنت تَرَى قبرَ أخيك، ونَفْسي لا تَطيبُ لك أبداً وأنا أذكرُ هذه الشَّجَّةَ. وأنشدهم شعرَ النَّابغة[٢]:

فقالتْ: أرَى قَبْراً تَراهُ مُقابلي وَضَرْبَةَ فَأسٍ فَوْق رأسيَ فاقِرَه[٣]

فيا مَعْشَرَ قُرَيْش، وَلِيَكُمْ عمرُ بنُ الخَطَّاب، فكان فَظّاً غليظاً مُضَيِّقاً عليكم، فَسَمِعْتُم له[٤] وأطَعتُمْ. ثم وليكُمْ عثمانُ، فكانَ سَهْلاً لَيِّناً كريماً، فَعَدَوتُم عليه فَقَتَلْتُمُوهُ. وبَعَثْنَا عليكم مُسْلِماً يومَ الحَرَّةِ فَقَتَلْتُموهُ. فنحن نَعْلَمُ يامعشرَ قريش، أنكم لا تُحبُّونَا أبداً، وأنتم تَذْكُرونَ يومَ الحَرَّةِ، ونحن لا نُحِبُّكُمْ أبداً، ونحن نَذْكُرُ مَقْتَلَ عُثْمانَ»!

---

(١) الصَّفاة: الصَّخرة المَلْسَاء، أو الحَجرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الذي لا يُنْبِتُ شَيْئاً.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص:١٥٦.

(٣) فاقرة: من الفَقْرِ بمعنى الشَّقِّ والحَزِّ، أي: مشقوقة مفتوحة.

(٤) سَمِعْتُمْ له: أطَعْتُمُوهُ.

٨ ـ خُطْبَةٌ للوليدِ بنِ عبدِ المَلكِ بعدَ مَوْتِ أبيه

العقد٤:٩١
وتاريخ الرسل والملوك ٦:٤٢٣
والعيون والحدائق ٣:٢
والكامل في التاريخ ٤:٥٢٣
والبداية والنهاية في التاريخ ٩:٧٠

لـمَّا ماتَ عبدُ المَلِك بنُ مَرْوَانَ، ورَجَعَ الوليدُ من دَفْنِـه ، لَـمْ يَدخُـل منزلَـهُ حتـى دَخَـلَ المَـسجدَ، ونُوديَ في الناس: الصلاةُ جامعةٌ. فَصَعِد المِنْبرَ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

« أيُّها الناسُ ، إنه لا مُؤخِّرَ لما قَدَّمَ الله، ولا مُقَدِّمَ لـما أخَّـرَ الله، وقـد كـانَ مـن قضـاء الله وسابق علمه،وما كَتَبَ على أنبيائه، وحَمَلَةِ عرْشِه من الموتِ، مَوْتُ وليِّ هذه الأمَّة، ونحن نَرْجُـو أن يَصيرَ إلى منازل الأبرار، للذي كان عليه من الشدّة على المُريب[1]، واللِّين على أهل الفَضْل والدِّين، مع ما أقامَ من مَنار الإسـلام وأعلامِـه، وحَـجِّ هـذا البيـت، وغَـزْو هـذه الثغور، وشَـنِّ الغارات على أعداء الله ، فَلم يكن فيها عـاجزاً، ولا وانيـاً[2]، ولا مُفَرِّطـاً. فعليكـم أيُّهـا النـاسُ بالطَّاعة، ولزوم الجماعة، فإنَّ الشيطانَ مع الفَرْدِ، وهو من الجماعة أبعدُ . واعلموا أنه مَنْ أبْـدَى لنا ذاتَ نَفسه[3] ضَرَبْنا الذي فيه عَيْناهُ[4]، ومَنْ سَكَتَ ماتَ بدائه[5]».

---

(١) أرابَ الرجلُ: صار ذا ريبة، وهي الشَّكُّ والظِّنَّةُ والتُّهمةُ.

(٢) الواني: الضعيف الفاتر.

(٣) أبدى له ذات نفسه: كاشَفَهُ وأظهر له فِعْلَهُ الذي كان يُخْفيه.

(٤) ضرب الذي فيه عيناه: أي: رأسه.

(٥) للخطبةِ رواية أخرى قصيرة مختلفة، قال الجاحظ: لـمَّا مات عبدُ الملك بنُ مروان صعد المنبرَ الوليدُ ابنُهُ، فحمـد الله وأثنى عليه، ثم قال: (لم أرَ مِثْلَها مُصيبةً، ولم أرَ مِثْلَها ثواباً، موت أمـير المؤمنين والخلافـة بعـده. إنّـا لله وإنّـا إليه راجعون على المصيبة، والحمدُ لله على النِّعمةِ. انْهَضُوا فبايعوا علـى بركـة الله، رحِمَكُـم الله). (البيان والتبيين١:٣١١ ، وانظر أنـساب الأشراف ٧: ٢٧٠).

٩ـ من خُطْبَةٍ للوليد بنِ عبدِ المَلِكِ يَوْمَ تَوَلِّيهِ الخِلافَةَ

البيان والتبيين٢:١٦٥

قالَ الوليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ على المِنْبَرِ حينَ وَلِيَ الخِلافَةَ:

« إذا حَدَّثْتُكُمْ فكَذَبْتُكُمْ فلا طاعةَ لي عليكم، وإذا وَعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكمْ فلا طاعةَ لي عليكم، وإذا أغْزَيْتُكُمْ فَجمَّرْتُكم[1] فلا طاعةَ لي عليكم».

١٠ـ من خطبةٍ للوليدِ بن عبدِ الملكِ

أنساب الأشراف ٨:٧٣

خطبَ الوليدُ بنُ عبدِ المَلك يَوْمَ جُمُعَةٍ، فأتَتِ الصَّلاةُ، فناداهُ رَجلٌ: الصلاة! وَجَلَسَ فلم يُعْرَفَ، فقالَ الوليدُ:

«أيُّها النَّاسُ، وا للهِ ما نعاتبكُمْ على العَلانيةِ، وإنَّما نُعاتِبُكُمْ على أنْ تُسِرُّوا[2] لنا العَداوة»!

١١ـ من خُطَبِ للوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ

البيان والتبيين١:٢٣٧
وعيون الأخبار ٢:٤٩
وأنساب الأشراف ٨:١١٣، ١٣: ٣٧٥

خَطَبَ الوَلِيْدُ بنُ عَبدِ الملكِ فقال:

« إنَّ أميرَ المؤمنينَ عبدَ الملك كانَ يقولُ: إنَّ الحَجَّاجَ جِلْدَةُ ما بينَ عَيْنيَّ،[3] ، ألاَ وإنَّه جلدةُ وَجْهي كُلِّه[4] »!

---

(١) حَمَّرَ الأميرُ الجيشَ: إذا أطال حَبْسَهم بالثَّغْرِ، ولم يأذَنْ لهم في العَوْدِ إلى أهليهم.

(٢) أسَرَّ الشَّيْءَ: كَتَمهُ وأخْفَاهُ.

(٣) يقال: زَوى ما بينَ عَيْنَيْه فانزَوَى: إذا جَمَعَهُ وقَبَضَهُ فاجتمعَ وتقبَّضَ، أي: غضب.

ويقال: يومٌ يُقَبِّضُ مابين العَيْنَيْن: يكنى بذلك عن شدَّة خوفٍ أو حَرْبٍ ، أي: إصابة أو شكوى أيَّ ذلك كان. وكذلك يومٌ يُقَبِّضُ الحشا.

ويقال : بَسَطَ ما بين عَيْنَيْهِ فانْبَسَط إذا نَشَرَهُ فانتشرَ واستوى، أي: رَضِي.

والمعنى: أنَّ تَقَبُّضَ جلدة مابين العَيْنَيْن يكنى به عن الغضب والسُّخط والخَوف والأذى ، وأنَّ انبساطها يكنى به عن الرِّضا والسُّرور والتَّهَلُّل والاستبشار.

(٤) جِلْدَةُ وَجْهي كُلِّه: يُريدُ أنَّه يَتأثَّرُ به من جميع مَواقفه وعواطفه وأحواله المختلفة والمعنى أن الحجاج كانت له منزلة كبيرة

وخطبَ الوليدُ بعدَ وفاةِ الحَجَّاجِ وتَوْلِيتِه يَزِيْدَ بنَ أبي مُسْلِمٍ، فقال:

«إنّما مَثَلي وَمَثَلُ يَزِيدَ بنِ أبي مُسْلِمٍ بعدَ الحَجَّاجِ كمنْ سَقَطَ منه دِرْهَمٌ فأصابَ ديناراً»!

١٢ـ خُطْبَةٌ لِسُلَيْمانَ بنِ عبد المَلكِ يَوْمَ تَوَلِّيهِ الخِلافَةَ

العقد ٤:٩١

والبيان والتبيين ١:٢٤٤

وعيون الأخبار ٢:٢٤٧

وأنساب الأشراف ٨:١٠٤

ومروج الذهب ٣:١٨٤

والعيون والحدائق ٣:٣٥

والبداية والنهاية في التاريخ ٩:١٧٩

لمَّا أفْضَى الأمْرُ إلى سُلَيْمَانَ بنِ عبد المَلِكِ خَطَبَ النَّاسَ، فقال:

« الحمدُ للهِ، ألاَ إنَّ الدُّنيا دارُ غُرور، وَمَنْزِلُ باطلٍ، تُضْحِكُ باكياً، وتُبْكي ضاحِكاً، وتُخيفُ آمناً، وتُؤمِّنُ خائفاً، وتُفقر مُثرياً، وتُثْري مُقْتِراً، مَيَّالةٌ غرَّارةٌ، لَعَّابةٌ بأهْلِها. عبادَ اللهِ، فاتَّخذوا كتابَ اللهِ إماماً، وارْتَضُوا به حَكَماً، واجعلوهُ لكم قائداً، فإنَّه ناسخٌ لما كانَ قبلَهُ، ولم يَنْسخهُ كتابٌ بَعْدَهُ. واعلموا عبادَ اللهِ أنَّ هذا القرآن يَجْلو كَيْدَ الشَّيطان، كما يجلو ضَوْءُ الصُّبْحِ إذا تنفّس[1]، ظلامَ الليلِ إذا عَسْعَسَ[2]».

١٣ـ خطبةٌ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ حينَ اسْتُخْلِفَ

أنساب الأشراف ٨:٤٠٥

خطب هشامُ بنُ عبدِ المَلكِ حينَ وَلِيَ الخِلافَةَ، فقال:

« الحمدُ للهِ الذي أنْقَذني مِن النّار بهذا المَقام[3] »!

=

عندَ عبد الملك بن مروان، فكان يَغضَبُ لِغَضَبِهِ، ويَرْضَى لرضاه، وأن منزلته عند الوليد بن عبد المَلِكِ صارت أكبر، فقد ازداد ثِقَةً به، وحِرْصاً عليه، واستجابةً له، وأخذَ يَصْدُرُ عن رأيه، ويَعْمَلُ بمشورته.

(١) تَنَفَّسَ الصُّبْحُ: تَبَلَّجَ وأسْفَرَ.

(٢) عَسْعَسَ الليلُ: أظْلَمَ.

(٣) رُوِيتْ عدةُ أحاديث عن رواةٍ وَضّاعين زَعَمُوا فيها أنَّ الخلفاء ليس عليهم حِسابٌ ولا عقابٌ، وقد صَنَعُوا ذلك ردًّا على اتهام الخوارج لبني أميّة بالكفر. (انظر معاوية في الأساطير، مقالة لسعيد الأفغاني بكتاب المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ص:٣٩).

=

١٤ـ خُطْبَةٌ لهشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ في العِيدَيْنِ

أنساب الأشراف٨:٣٧٧

كانَ هشامُ بنُ عبد المَلِكِ يَتَكلَّمُ بِكَلِماتٍ في العِيدَينِ في خُطْبتِهِ، لا يَقُولُهنَّ في غيرِ هَذيـن اليَوْمَيْنِ، ثمَ يَخْطُبُ بعدَ ذلك:

« الحمدُ لله مَا شاء صَنَعَ، وما شاءَ أعْطَى، وما شَاء مَنَعَ، ومَنْ شـاءَ خَفَـضَ[1]، ومَـنْ شـاءَ رَفَعَ، ومَنْ شاء ضَرَّ، ومَنْ شَاءَ نَفَعَ ».

=

وكان بعضُ خلفاء بني أمية يعتقدون بذلك، قال معاوية:

(قد أكرمَ الله الخلفاءَ أفضـلَ الكرامة، أنْـقَذهم من النارِ، وأوجَـب لهـم الجنـة. وجعلَ أنصارَهم أهلَ الشام). (أنسـاب الأشراف٤:١:٩٨). وقال هشام بن عبد الملك:(لئن رضي الناسُ بالوليد بن يزيد ما أظنُّ الحديـث الـذي رواه الـناس: « إنَّ مَـنْ قامَ بالخلافة ثلاثة أيامٍ لم يَدْخل النارَ إلاَّ باطلاً). (أنساب الأشراف ٨:٣٨٠ ، وتاريخ الرسل والملوك٧:٢١٣).

وقال ابن عبد ربه: (دخَل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقـال لـه: مـا حديثٌ يحدِّثنا بـه أهـل الشام؟ قـال: ماهو يـا أمير المؤمنين؟ قال: يُحدِّثوننا أنَّ الله إذا استَرْعَى عبداً رَعِيَّته كتب له الحسنات، و لم يكتب له السيئات! قال: باطلٌ ياأمير المؤمنين! أنبيٌّ خليفةٌ أكرم على الله أم خليفة غير نبيٍّ؟ قال: بل نبيٌّ خليفة، قال: فـإن الله يقـول لنبيـه داود:﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾. فهـذا وعيدٌ يا أميرَ المؤمنين لنبيٍّ خليفة فما ظنُّك بخليفةٍ غير نبيٍّ ؟ قال: إنَّ الناس ليعوِّنونا عن دينـا)! (العقـد ١:٦٠، وشـرح نهـج البلاغة ١٧:٦١، وتاريخ الخلفاء ص٢٢٣).

(١) خفَضَهُ: حَطَّ من دَرجتِهِ ووَضَعَهُ وأهَانَهُ.

(٣) خُطَبُ لعمرَ بنِ عبدِ العزيز

١ـ خطبةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لمَّا وَلِيَ الخلافةَ

أنساب الأشراف ٨:١٦٨

لمَّا ماتَ سُليمانُ بنُ عبدِ الملكِ، واستُخْلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، خطب النَّاسَ، فقال:

« أيُّها الناسُ، وا للهِ ما سألتُ ا للهَ هذَا الأمرَ في سِرٍّ ولا علانيةٍ، ولا دَسَسْتُ[١] فيه بكلمةٍ، ولا خَطَوْتُ فيه خُطوةً، فإنْ شئتُمْ فَبَيْعَتُكمْ مَرْدُودَةٌ عليكم[٢] ».

٢ـ خطبةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ لمَّا ولِيَ الخِلافَةَ

أنساب الأشراف ٨:١٦٨

ماتَ سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ، واستُخلِفَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، فخَطَبَ النَّاسَ، فقال:

« وا للهِ ما أرَدْتُها ولا تَمنَّيْتُها، ولا سَعَيْتُ لها. فاتَّقُوا ا للهَ، وأَعْطُوا[٣] الحقَّ من أَنْفُسِكم، وردُّوا المظالِمَ[٤]، فإنِّي وا للهِ ما أصْبَحْتُ وبي مَوْجدةٌ[٥] على أحدٍ من أهلِ القِبْلَةِ، إلاَّ على ذي سَرَفٍ[٦] حتى يَرُدَّهُ ا للهُ إلى قَصْدٍ[٧] ».

٣ـ خُطْبةٌ لعمَر بنِ عبدِ العزيزِ حينَ استُخْلِفَ

أنساب الأشراف ٨:١٢٦

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص:٣٧

لمَّا وَلِيَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ صَعِدَ المِنْبَرَ، فحمدَ ا للهَ وأثْنى عليه ، ثم قال:

---

(١) دَسَّ في الأمر: سألَ غيرَهُ أنْ يَطْلُبَهُ له في الخفاء.

(٢) رَدَّ عليه الشَّيْءَ: لم يَقْبَلْهُ.

(٣) أعْطى الحَقَّ من نَفْسه: أنْصَفَ غيرَهُ.

(٤) المظالم: جمع مَظْلِمَةٍ، وهي اسمُ ما أُخِذَ منك، وهو ما تَطْلُبُهُ عندَ الظالم.

(٥) المَوْجِدَةَ: الغَضَبُ.

(٦) السَّرَفُ: مُجاوَزَةُ القَصْد في النَّفَقَةِ.

(٧) القصْدُ: التَّوَسُّط والاعتدال.

« أيُّها الناسُ، مَنْ صَحِبَنا فَلْيَصْحَبْنَا بخمس: يُبْلِغُنا حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ إبْلاَغَها، ويَدُلنا من العدل على مالم نَهْتَد له، ويُؤدِّي [1] الأمانةَ إذا حَمَلَها، ويُعِينُنَا على الخير، ويَدَعُ مَا لا يَعْنيه. فَمن كانَ كذلك فَحَيَّهلاً به[2]، ومَنْ لم يكنْ كذلك فلا يَقْرَبْنَا»!

٤ــ خُطْبَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيز

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص:٣٨

خَطَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ النَّاسَ ، فَقَالَ:

« أيُّها النَّاسُ، إنه ليسَ بَعْدَ نَبيِّكُمْ نَبيٌّ، وليسَ بعدَ الكتاب الذي أُنزلَ عليكمْ كتابٌ. فمـا أَحلَّ اللهُ على لسانِ نَبيِّه فهو حلالٌ إلى يوم القيامة، وما حَرَّمَ اللهُ على لسَان نَبيِّه فهو حـرامٌ إلى يوم القيامة. أَلا إنِي لَستُ بقاضٍ، وإنما أَنَا مُنَفِّذٌ، ولستُ بمُبْتَدِعٍ ولكني مُتَّبِعٌ. أَلا إنَّه ليسَ لأَحدٍ أَنْ يُطَاعَ فِي معصيةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ. لستُ بخَيْرِكم، وإنَّما أَنا رَجُلٌ منكم. أَلاَ وإنِّي أَثْقَلُكُمْ حمْلاً.

أيُّها النَّاسُ، إنَّ أَفْضَلَ العبادة أَداءُ الفَرائض، واجْتِنَابُ المَحارم[3] . أقولُ قـولي هَـذا، وأَسْتَغْفِرُ اللهَ العظيمَ لِي ولكم».

٥ــ خُطْبَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيز

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص:٣٨

خطبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ النَّاسَ، فَقَالَ:

« سنَّ رسولُ اللهﷺ وولاةُ الأمرِ منْ بَعْدِه سُنَناً، الأَخذُ بها اعْتِصَامٌ بكتاب الله، وقوةٌ على دينِ الله، ليس لأحد تَبْديلُها ولا تَغْيِيرُهَا، ولا النَّظرُ في أَمرٍ خَالَفَها. مَن اهْتَدَى بها فهو مهتـد، ومن اسْتَنْصَرَ بها فهو مَنْصُورٌ، ومَنْ تَرَكَها واتَّبَعَ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ وَلاَّه اللهُ ماتولَّى، وأَصْـلاه جَهَنَّمَ[4]، وساءَتْ مَصيراً».

---

(١) أدّى الأمانةَ: أوْصَلَها ولم يَخُنْهَا.

(٢) حَيَّهلاً به: أقْبِلْ وأسْرِعْ، أي فأقْبِلْ به وأسْرِعْ، وهي كَلِمَتان جُعِلَتا وَاحدةً، فَحَيَّ بمعنى أقْبِلْ، وهلاً بمَعْنى أسْرِعْ.

(٣) المحارم: مالا يحل استحلالُـهُ.

(٤) أصْلاهُ جَهَنَّمَ: أدْخَلَهُ النَّارَ وأَوْرَدَهُ فيها.

٦ــ خُطْبَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص: ٣٩

خَطَبَ عمرُ بنُ عبد العزيز النَّاسَ، فَقَالَ:

«أيـــُّها النَّاسُ، عليكم بتَقْوَى الله، فإن تَقْوَى الله خَلَفٌ [١] مِنْ كُلِّ شيءٍ، ولا خَلَفَ مِنَ التَّقْوَى.

أيُّها النَّاسُ، إنه قد كانَ قَبْلي ولاةٌ تَجْتَرُّونَ[٢] مَوَدَّتَـــهُم بأن تَدْفَعُوا بذلك ظُلْمَهم عَنْكُم.

أيُّها النَّاسُ، إنـــّي لستُ بخازنٍ ، ولكنّي إنَّما أَضَعُ حيثُ أُمِرْتُ. أَلاَ ولا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصية الخالق. أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم».

٧ــ خُطْبَةٌ لعمرَ بن عبدِ العَزيزِ

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص: ٤٠

خَطَبَ عُمَرُ بنُ عبد العزيز النَّاسَ، فقال: أمَّا بَعْدُ،

« أيها الناس، فَلاَ يَطُولَنَّ عليكم الأمدُ، ولا يَبْعُدَنَّ عليكم يومُ القيامة، فإنَّ مَن زَافَتْ[٣] به مَنِيَّتُهُ فقد قامتْ قيامَتُهُ، لا يَسْتَعْتِبُ[٤] من سيءٍ ، ولا يزيدُ في حَسَنٍ. أَلا لا سَلاَّمَةَ لامـــرئٍ في خـــلاَفِ السُّنَّة، ولاَ طاعةَ لمخلوقٍ في معصية اللهِ. أَلاَ وإنـــَّكم تَعُدُّونَ الهاربَ مِنْ ظُلْمِ إمامه عَاصياً. أَلا وإن أَوْلاَهما بالـــمَعْصية الإمامُ الظَّالِمُ. أَلاَ وإنِّي أُعالِجُ أمراً لايُعِينُ عليه إلا اللهُ، قد قَفَّى عليه الكبيرُ، وكَبَرَ عليه الصَّغيرُ، وفَصُحَ عليه الأَعْجميُّ، وهاجرَ[٥] عليه الأَعرابيُّ، حتى حَسِبُوهُ دِيناً لا يَرَوْنَ الحقَّ غَيْرَهُ . إنَّه لحبيبٌ إليَّ أن أُوفِّرَ[٦] أموالَكم وأعراضَكم إلاَّ بحقِّها. ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ».

٨ ــ خُطْبَةٌ لعمرَ بنِ عبدِ العَزيزِ

شرح نهج البلاغة ١٧:٩٩

نَادَى المُنَادي: الصَّلاَةَ جَامِعَةً، فَصَعِدَ عُمَرُ بنُ عبد العزيز المنبرَ، فحمدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثم قَالَ: أمَّا بَعْدُ،

---

(١) الخَلَفُ: العِوَضُ والبَدَلُ.

(٢) تَجْتَـــرُّونَ مودَّتهم: تَسْتَخْرِجُونَ مَحَبَّتهم، أي تَستَمِيلون أفئدتهم، وتَسْتَـــنْبِطُونَ طاعَتهم.

(٣) زَافَتْ: أسرعت.

(٤) اسْتَـــعْـــتَبَ: رَجَعَ عن الإساءة وطَلَبَ الرِّضا.

(٥) هاجرَ عليه الأعرابيُّ: أي انتقل من البادية إلى المدينة، يريد لم يُخْلِصِ الهجْرَةَ لله، ولم يَنْقَطِعْ بنفسه إلى البلد الذي ليس له به أهل ولا مَنْزِلٌ طَلَبًا للجنة.

(٦) وفَّرَ مالَه، ووَفَّرَهُ: جعلَه وافراً، أي كثيراً لم ينقص منه شيءٌ. وَوَفَّرَه عِرْضَه ووَفَّرَه له: لم يشتمه، كأنه أبقاه له كثيراً طيِّباً لم يَنْقُصْه بشتم. (اللسان: وفر). وأعطى «الوَفْرَ» معنى «لا النَّقْصَ» ولذلك قال: «إلا بحقِّها» بالقَصْرِ.

« فإنَّ هؤلاء[١] قد كانوا أعطَوْنا عَطَايَا ماكان ينبغي لنا أنْ نأخُذَها منهم، وما كانَ ينبغي لهم أنْ يُعطوناها، وإنّي قد رأيتُ الآنَ أنّه ليس عليَّ في ذلك دونَ الله حَسِيبٌ، وقد بدأتُ بنفسي والأقربينَ من أهلِ بيتي، اقرأ يامزاحمُ[٢] ».

(٤) خُطْبةُ ليَزيدَ بن الوَليدِ بعدَ قَتْلِ الوَليدِ بنِ يزيدَ

أنساب الأشراف ٩:١٩١
وتاريخ خليفة بن خياط٢:٥٥٠
والبيان والتبين٢:١١٥
وعيون الأخبار ٢:٢٤٨
وتاريخ الرسل والملوك ٧:٢٦٨
والعقد٤:٩٥
وتاريخ الموصل ص:٥٧
والعيون والحدائق٣:١٥٠
والكامل في التاريخ ٥:٢٩١
والبداية والنهاية في التاريخ١٠:١٣
وتاريخ الخلفاء ص:٢٥٢

لمَّا قُتِلَ الوَليدُ بنُ يزيدَ خَطَبَ يزيدُ بنُ الوليد بن عبد الملك، فقالَ بعدَ أنْ حَمِدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على نَبيِّه ﷺ :

«أيُّها الناسُ، إنّي والله ماخرَجْتُ بَطَراً[٣] ، ولا حِرْصاً[٤] على الدُّنيا، ولا رَغْبةً[٥] في المُلْكِ. وما أقولُ هذا إطراءً[٦] لنَفْسي، إنّي لَظَلُومٌ لها إنْ لم يَرْحَمْني ربّي، ولكن خَرَجْتُ غَضَباً[٧] لله ولِدينِه، وداعياً إلى الله وكتابِه وسُنّةِ نَبيِّه، لَمّا هُدِّمَتْ معالِمُ[٨]

---

(١) يعني: خلفاءَ بني أميّة قبله.

(٢) فجعل مُزاحمٌ يقرأ كتاباً فيه الإقطاعات بالضّياع والنّواحي، ثمّ يأخذه عمرُ بيَده فيقصّه بالجَلَم: أي: المقراض، لم يزل كذلك حتى نوديَ بالظّهر. (شرح نهج البلاغة ١٧:٩٩) .

(٣) البَطَرُ: التّبَخْتُرُ والتّكبُّرُ والطُّغْيانُ عندَ النِّعْمةِ وطُولِ الغِنَى .

(٤) الحِرْصُ: الجَشَعُ وشِدَّةُ الإرادةِ والشرَه إلى المطلوب.

(٥) الرَّغبة: الإرادة والطّمع.

(٦) الإطراء: مجاوزة الحَدِّ في المَدح والكذبُ فيه، يقال: أطْرَى فلانٌ فلاناً: أي: مَدَحَهُ بما ليس فيه.

(٧) الغَضَبُ: السُّخْط، يقال: غَضِبَ له: أي غَضِبَ على غيره من أجله، وذلك إذا كان حيًّا، فإن كان ميتاً قيل: غَضِبَ به.

(٨) المعالم: جمع مَعْلَمٍ، وهو الأثَرُ الذي يُستَدلُّ به على الطريق، وكذلك مَعْلَمُ الدِّين على المَثَل.

الدِّين، وعُفِّيَ[١] أثر الحقّ، وأُطفِئَ نُور الهُدَى[٢] ، وظهرَ الجَبّارُ[٣] العَنيدُ[٤] المُسْتَحِلُّ[٥] لكلِّ حُرْمةٍ[٦]، والرَّاكبُ[٧] لكلِّ بدْعَةٍ[٨] ، مع أنَّه وا لله ماكانَ يُصَدِّقُ بالكتابِ، ولا يُؤْمِنُ بيوم الحساب، وإنه لابنُ عَمِّي في النَّسَبِ، وكُفْئي[٩] في الحَسَبِ[١٠]. فلما رأيتُ ذلك اسْتَخَرْتُ[١١] ا لله في أمرِه، وسألْتُهُ أنْ لا يَكِلَني[١٢] إلى غيره، ودَعَوْتُ إلى مُجَاهَدَتِه. فأجابني مَنْ أجابني من أهْلِ ولايَتي، وسَعَيْتُ عليه، حتى أراحَ ا لله منه العِبادَ بحَول[١٣] ا لله وقُوَّته ، لا بِحَوْلي وقُوَّتي.

أيُّها الناسُ، إنَّ لكم أنْ لاأضَعَ حجراً على حجر، ولا لبنَةً على لبنةٍ، ولا أكْرِيَ[١٤] فيكم نهراً، ولا أبْنِيَ قَصْراً، ولا أكْنِزَ مالاً، ولا أُؤثِرَ[١٥] به زوجةً ولا ولداً، ولا أنْقُلَ مالاً من بلدٍ إلى بَلَدٍ حتى أسدَّ[١٦] ثغرَهُ وخَصَاصَةَ[١٧] أهْلِه بما

---

(١) عَفَّى الأثر: طمَسهُ ومَحَاه.

(٢) الهُدَى: الرَّشاد، وهو ضدُّ الضَّلال.

(٣) الجَبَّار: المُتَمرِّدُ العاتي، أو المتكبِّرُ الذي لايَرَى لأحدٍ عليه حقّاً، والذي يَقْتُلُ على الغَضَبِ.

(٤) العنيد: الجائر عن القَصْد الباغي الذي يَرُدُّ الحَقَّ مع العلم به.

(٥) اسْتَحَلَّ الشيءَ: عَدَّهُ حلالاً، أي: جَوَّزَهُ وأباحَهُ.

(٦) الحُرمَة: مالا يَحلُّ لك انتهاكه.

(٧) ركب الذَّنْبَ: اقْتَرَفَهُ، أي أتاه وفَعَلَهُ.

(٨) البدْعَة: ماخالف أُصُولَ الشَّريعةِ ولم يُوافِقِ السُّنَّةَ.

(٩) الكُفْءُ: المِثْلُ والنَّظِيرُ والمُساوي.

(١٠) الحَسَبُ: الشرف والمجد، ولا يكونان إلاَّ بالآباء، أي: بما يُعَدُّ من مكارمهم ومناقبهم ومآثرهم .

(١١) اسْتَخارَ ا لله: طلبَ منه الخِيَرة، وهي: الاسم من الاختيار، أي: الاصطفاء والانتقاء، والمراد طلبَ منه خيْرَ الأمرين.

(١٢) وَكَلَهُ إلى غيره: صرفه إليه وكلّفه القيام بأمره، أي تركَهُ.

(١٣) الحَوْلُ: الحَرَكة أو الحِيلة.

(١٤) كَرَى النَّهْرَ: حَفَرَهُ.

(١٥) آثره بالشيء: خَصَّهُ به وفَضَّلَهُ على غيره.

(١٦) سَدَّ الثَّغْرَ: شَحنَهُ بالخيل والرجال وملأه. والثغر: الموضعُ الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمينَ والكفار، وهو موضعُ المخافة من أطرافِ البلاد.

(١٧) الخصاصة: الفَقْرُ وسُوءُ الحالِ والخَلَّةُ والحَاجة.

يُغْنيهم[١] ، فإن فَضَل[٢] فَضْلٌ نَقْلْتُهُ إلى البلدِ الذي يَليه مما هو إليه أحْوَجُ. ولكم عليَّ ألاَّ أُجَمِّركم[٣] فاُفتنكم[٤]، ولا أفتحَ أهليكم، ولا أُغْلِقَ بابي دُونكم، فيأكلَ قَوِيُّكُمْ ضَعِيفَكم، ولا أحْمِلَ[٥] على أهل جزيَتِكُمْ ما أُجْلِيهم[٦] به عن بلادهم. ولكمْ عندي إدرارُ[٧] أعْطِياتكم[٨] في كلِّ سنةٍ، وأرْزاقِكُمْ[٩] في كلِّ شهرٍ، حتى تَسْتَدِرَّ[١٠] المعيشةُ[١١] بين المسلمينَ، فيكونَ أقصاهُمْ كأدناهُم. فإنْ أنَا وَفَيْتُ لكم بما قُلْتُ فعليْكُمُ السَّمْعُ والطَّاعةُ وحُسْنُ المؤازرةِ[١٢] والمُكانَفة[١٣]، وإنْ أنا لم أَفِ لكم فلكم أنْ تَخْلَعُوني إلاَّ أنْ تَسْتَتِيبُوني[١٤]، فإنْ تُبْتُ قَبِلْتمْ مني. وإنْ عَلِمْتُم مكانَ رجلٍ يُعْرَفُ بالصَّلاحِ يُعْطِيكُمْ من نَفْسِهِ ماأعْطَيْتُكُمْ فَبايِعُوهُ إنْ أرَدْتُمْ ذلك، فأنا أوَّلُ من يُبايِعُهُ، ويَدْخُلُ في طَاعَتِه.

أيُّها النَّاسُ، إنَّه لاطاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيةِ خالقٍ. أقولُ قَوْلي هذا واسْتَغْفِرُ الله لي ولكم».

---

(١) أغناه: كَفَاهُ.

(٢) فَضَلَ: زاد.

(٣) جَمَّرَ الجُنْدَ: أطالَ حَبْسَهُم بالثَّغْرِ، و لم يأذَنْ لهم في العَوْدِ إلى أهليهم.

(٤) فَتَنَهُ: حَمَلَهُ على الفُجور.

(٥) حَمَلَ عليه الأمر: كلَّفه إياه أو حَشَّمه إيَّاه.

(٦) أجْلاهُ عن بَلَدِهِ: أخْرَجَهُ منه إلى بلدٍ آخر. والمراد أنه لن يزيد مِقْدَارَ الجزية على أهل الذِّمَّة، بحيث يرهقهم من أمرهم عُسْراً، ويُكْرِههم على أنْ يتركوا ديارهم، ويتحوَّلوا عنها إلى غيرها.

(٧) أدَرَّ الشيء: أجْرَاهُ، والمراد إخراجُ المرتبات ودَفْعُها.

(٨) الأعْطيات: جَمْعُ جمعِ عَطاءٍ، وهو المُرَتَّبُ من الدنانير والدراهم.

(٩) الأرزاق: الحِنْطَةُ وغيرها من الحبوب.

(١٠) استَدَرَّ الشيء: كثر وازداد، أو فاضَ وعمَّ. ويقال: دَرَّت الدنيا على أهلها إذا كثر خيرها، وأرزاقٌ دارَّةٌ: أي: دائمة متَّصلة.

(١١) المعيشة: مايُعاشُ به.

(١٢) المُؤازَرَةُ: المُظاهَرَةُ والمُعَاونة، يقال: آزَرْتُ كذا فآزرني عليه فلانٌ إذا ظاهرك وعَاوَنك.

(١٣) المُكانَفَةُ: المُعاونة، يقال: كانَفْتُهُ، أي: عَاوَنْتُهُ.

(١٤) استَتَابَهُ: عَرَضَ عليه التَّوْبَةَ مما اقْتَرَفَ، أي: الرُّجوعَ والنَّدَمَ على ما فَرَطَ منه.